

دائمًا، والشر متوقَّع أبدًا، وخير أن نحتاط للكوارث قبل أن تقع، فلعل ذلك أن يمنع وقوعها، فعودوا إلى مواضعكم من قيادة الجيش واثبتوا، فمن يدري؟! لعل الملك يحتاج إليكم.»

وانصرف القواد وهم إلى السخط أقرب منهم إلى الرضا، وإلى المعصية أدنى منهم إلى الطاعة. فلما تفرقوا قالت فاتنة لأبيها: «لقد انصرفوا، وإن قلوبهم لمطوية على غير الوفاء والولاء. ولكن التي عرفت كيف ترد عدوان المغير الخارجي تعرف كيف تكبح ثورة الثائرين في داخل الوطن.»

قال الملك: «ألم يَأْنْ لك يا ابنتي أن تكاشفي أباك بشيء من هذه الأسرار التي عُصِيَتْ عليه وعلى أهل المملكة جميعًا؟! وما أرى إلا أنها مُعَمَّاة على أعدائنا، فانظري إليهم حائرين ينفقون جهودًا لا تحصى، ويحتملون أثقالًا لا تُستقصى، ويرون مع ذلك أنهم ثابتون في أماكنهم التي كانوا يريدون أن يُغيروا علينا منها.»

ولم يكن الملك يقول إلا حقًا! فقد كانت تلك المناظر التي وصفناها آنفًا قائمة كما هي لم تتبدل: بحر مضطرب مصطخب تكاد أمواجه تبلغ السماء، ولكنها لا تكاد تبلغ الساحل، ورياح متناوذة متصايحة، وسحاب متراكم متراكب، وقطع من الجبال تدور في الجو تلتقي لتفرق وتفترق لتلتقي، ورعية الملك طهمان بن زهمان قد ثاب إليها الأمن وعادت إليها الطمأنينة، وجعلت تشهد هذه المناظر الرائعة معجبة بها راضية عنها، متسلية بما تشهد منها، كأنها في ملعب من ملاعب التمثيل، أو في ميدان من هذه الميادين التي تعرض فيها الأعاجيب.

وقد أخذ أفراد الرعية يتحدث بعضهم إلى بعض عن بدائع هذا السر وروائعه، ويسأل بعضهم بعضًا عن مصدره ومدبره، وقد سرى فيهم سريان البرق أن الأميرة هي مصدر هذا السحر وهي التي دبّرت وقدرته، وردت ملوك الجن مدحورين في البر والبحر والجو جميعًا.

وكان أفراد الرعية يسمعون عن الأميرة أحاديث مختلطة مضطربة، يعرفون جمالها الرائع وحسنها البار، ويعرفون فتنتها وفطنتها، ويعرفون ذكاءها ونفاذ بصيرتها إلى ما لم تنفذ إليه قط بصائر الملوك والملكات، ولكن هذا كله كان يُلْقَى إليهم إلقاءً، فيُصدَّق حينًا ويرفض حينًا آخر، ويُسمع في غير اكتراث أكثر الأحيان، فأما الآن وقد رأت الرعية ما رأت وشهدت ما شهدت، فأما الآن وقد كان الهول منها قيد إصبع ثم رُدَّ عنها ردًا عنيفًا، فأما الآن وهي ترى الهول قريبًا منها بعيدًا عنها، محددًا بها عاجزًا عن أن يصيبها؛ فقد